



تشكيل الهوية لدى المراهق والعوامل المساعدة في اكتسابها Identity formation in the adolescent and auxiliary factors in its acquisition

نوال بن عيسى رجال¹ بشير بطاهر²

¹ جامعة وهران 2 محمد بن احمد (الجزائر).

البريد الإلكتروني: nawelbenaissarahel@yahoo.com

² جامعة وهران 2 محمد بن احمد (الجزائر).

البريد الإلكتروني: bbentahar31.bb@gmail.com

تاريخ النشر

2021-12-01

تاريخ القبول

2021-10-24

تاريخ الإيداع

2021-06-06

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مرحلة المراهقة باعتبارها مرحلة نشطة كونها تتسم بتغيرات تمس مختلف مجالات نمو الفرد، من خلال تسليط الضوء على العمليات التي يقوم بها المراهق ليتمكن من تحديد هويته وتسطير أهدافه في الحياة المستقبلية أي حياة الراشدين، وهذا من خلال الاعتماد على المنهج التحليلي. وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه العملية هي جوهر تشكيل الهوية لدى المراهق لأنها تمثل والمراهقة وجهان لعملة واحدة، فلا يمكن أن تكون هناك مراهقة سليمة دون تشكيل لهوية واضحة المعالم تمكن المراهق من دخول عالم الراشدين من دون تعقيدات.

الكلمات المفتاحية: تشكيل الهوية؛ الثقافة؛ المراهقة؛ البيئة.

Abstract:

This research aims to focus on the phase of adolescence as an active stage because it is characterized by changes affecting the different areas of individual growth of the adolescent, illuminating the process that he leads to be able to define its identity and underline its objectives in the future life, the adult life, and this by relying on the analytical approach. The study concluded that this process is the essence of adolescent identity formation, as it represents and adolescence two sides of the same coin. There can be no healthy adolescence without the formation of a clear identity that enables the adolescent to enter the world of adults without complications

Keywords: identity formation; acculturation; adolescence; environment

* المؤلف المرسل

مقدمة:

تعتبر المراهقة فترة انتقالية يواجه فيها المراهق صراع النضج إلى غاية الاستقرار النفسي، يلاحظ فيها تغييرات في البناء الجسمي وسمات الشخصية والاتجاهات الفكرية والمعايير الاجتماعية والميول والرغبات الانفعالية، فالمراهقة عملية ارتقائية وجدلية تتكون من ثلاثة مستويات، تبدأ المرحلة الأولى على الصعيد الفيزيولوجي أي بالتغيرات الفيزيائية والفيزيولوجية الشاملة من نمو جسمي وجنسي والمرحلة الثانية تكون على مستوى التجربة النفسية وتأثير التغيرات البيولوجية في وضعه الاجتماعي وما يترتب عنها من استئثار الاهتمامات بالذات الجسمية والنفسية والبحث عن الهوية والمكانة الاجتماعية، أما المرحلة الثالثة فتحدث على مستوى النظام العلائقي والمظاهر السلوكية الفعلية، أي بناء علاقات ألفة وتغير سلوكياته من الطفولة والتبعية إلى الرشد والاستقلالية. وهذه المستويات الثلاثة هي متداخلة وفي تفاعل لتساهم في ارتقاء شخصية المراهق وتكاملها.

والمراهقة أيضا هي الفترة التي تنشط فيها عملية تشكيل وبناء الهوية، هذا التشكيل هو ظاهرة اجتماعية من صنع المجتمع الإنساني، فالتفاعل المستمر مع المحيط الاجتماعي يكسبه خبرة اجتماعية من خلال وجود آخرين لهم حضور اجتماعي في الحياة، ومن هنا تبرز نواة هوية الذات الإنسانية كنتاج محيطها الذي تتفاعل معه (المراياتي، 2001: 10).

والهوية موضوع اختلفت حوله آراء المفكرين والدارسين في مختلف التخصصات، ويرجع ذلك لحركية مفهومها، حيث ظهرت مفاهيم وتعريف مختلفة للهوية لقت اهتماما وأسالت الكثير من الحبر لأهميتها ودورها واتساع دائرة تأثيرها على الأفراد، ليشكّل هذا المفهوم منذ آلاف السنين وحتى اليوم إشكالية غير قابلة للتجاوز. وقد زاد هذا الاهتمام في السنوات الأخيرة، حيث أن الإنسان يولد بفكر خال من استراتيجيات وأدوات التعامل مع البيئة الطبيعية، يكون أعزلا من كل أداة لحماية كيانه. ومع تقدمه في السن وخاصة في مرحلة المراهقة فيبتكر طرقا وسلوكيات للتعامل مع المجتمع الذي يعيش فيه، كما أن الوعي بالوجود

ما هو إلا وعي وإدراك بوجودية الذات وإيجاد الإجابة عن التساؤلات لماذا وجدت ؟ وكيف سأظهر؟ وما سيكون مصيري؟... هذه التساؤلات تظهر وتبرز بشكل واضح في مرحلة المراهقة، لأن المراهق بكل بساطة هو في عملية بحث متواصل عن هويته لتحقيقها.. وهو في رحلة بحثه عن الإجابة على هذه التساؤلات المطروحة يجعل نموه النفسي في حركية ودينامية بسبب احتكاكه الدائم بالعوامل والمؤثرات الموجودة في المجتمع الذي ينتمي إليه مما ينجر عنه تشكيل هوية خاصة به. هذه الهوية التي تعتمد على عدة عوامل في تشكيلها وتطورها، بل وتتطور على مدى سنوات العمر كاملة (محمد، 1998) ولا تتوقف عند مرحلة واحدة.

إن بناء الهوية عند المراهق تسمح لنا بفهم كيف يكون الآخر بناء ومشيداً للهوية عبر تطور سيرورة الهوية عبر الانفصال أو الرفض، الانخراط أو التجنيد (Gaston Lanneau, 1979). من هنا سنحاول تسليط الضوء على عملية تشكيل الهوية في مرحلة المراهقة والإجابة على التساؤل المتمثل فيما يلي: ما هي العوامل المؤثرة في نمو وتشكيل هوية المراهق؟ وكيف يتمكن المراهق من اكتساب هويته من بيئته الاجتماعية والثقافية وفق أطر وضوابط سليمة؟

1. أهداف الدراسة:

- إن أهداف الدراسة تتلخص من خلال جانبين أساسيين هما:
- تسليط الضوء على العوامل المؤثرة في نمو وتشكيل هوية المراهق استناداً على المؤثرات البيئية الاجتماعية كانت أو ثقافية.
 - الاهتمام بتشكيل الهوية في مرحلة المراهقة وكيفية اكتسابها لدى فئة المراهقين وهم في خضم طرح تساؤلات وجودية أثناء عملية البحث المستمرة عن طرق تحقيق هويتهم.

2. أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في إبراز تأثير أهمية التفاعل المثمر للمراهق الذي نجد له دورا بارزا في نمو هوية إيجابية لديه، أو تماما عكس ذلك. لهذا تظهر أهمية التفاعل الإيجابي مع البيئة والمجتمع بكامل مكوناته الثقافية والاجتماعية وغيرهما في تشكيل وتطوير هوية المراهق كأحد العوامل ذات العلاقة بذلك.

3. مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

الهوية: هي مجموعة مميزك تكتسب من البيئة المحيطة ولا تعد شيئا موروثا بل تتطور مع نمو الفرد .

تشكيل الهوية: هي محاولة اكتشاف المراهق ما يناسبه من مبادئ ومعتقدات تحدد هويته الفعلية

التثاقف: هي تبادل تأثير الثقافة أو الفعل الثقافي بين طرفين على الأقل.

4. مفهوم الهوية:

لغة: هي من الضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها. فالهوية مصطلح مشتق من اللاتينية القديمة "identitas" من "idem" بمعنى "le même" أي أن هذا الشيء له نفس طبيعة الشيء الآخر أو أن يكون الشيء نفسه أو مثيله (الموسوعة الفلسفية العربية، 1986: 116).

اصطلاحا: كما جاء في معجم العلوم الاجتماعية أن الهوية هي تحديد المميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة. (معتوق، 1998: 235)

ويعرفها "إريكسون" (Erikson): بأنها المجموع الكلي لخبرات الفرد (Erikson, 1972: 17)، أما "مارسيا" (Marcia) (1966) فيرى أنها تنظيم داخلي معين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات والإدراكات الذاتية، بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والسياسي

للفرد (Marcia, 70: 180)، ويعرفها "وولمان" (Wolman) بأنها إدراك الفرد بأنه ثابت جوهريا ولم يتغير واستمرارية كيانه عبر الوقت كونه نتيجة لوظيفة التي تعمل على توحيد مثله، سلوكه وأدواره الاجتماعية (سلطان، 2009: 38).

وقد حددت "زافالوني" (Zavalloni) مفهوم الهوية حسب أربعة أبعاد تتمثل فيما يلي :

- الوعي بهوية شخصية إيجابية موجودة في كل مظاهر الذات .
- ثبات الطبع الشخصي .
- اندماج الذات من خلال التحليلات التي تقوم بها هذه الأخيرة وهي تتعدى مفهوم التقمصات الطفولية .

- تلاحم داخلي بين مثاليات الفرد والهوية الجماعية (Zavalloni & al., 184:120).

فمن خلال هذه التعريفات للباحثين لمصطلح الهوية، يتضح أمامنا جليا صعوبة تحديد هذا المفهوم باعتباره مفهوما متحركا وفي حالة بناء دائم من خلال الوضعيات التي يكون عليها الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجودة بينها وفي تلك الوضعيات وما يحدث داخلها من علاقات، إذ يقوم شعور الانتماء بوظيفة هامة في تأكيد الهوية ورسم حدودها وأكثر فرد يتأثر بهذه الوضعية هو المراهق الذي هو بدوره في وضعية تشكيل لهويته من خلال تفاعله مع المجتمع الذي ينتمي إليه ، فالهوية هي جسر يعبر من خلاله المراهق إلى البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش ضمنها وهي إحساس بالانتماء والتعلق بالمجتمع.

5. مفهوم المراهقة:

لغة: "المراهقة" كلمة مشتقة من فعل "رهِقَ" بمعنى قارب فترة الحلم والبلوغ وراهق الغلام أي دنى من الحلم. (ابن منظور، 2003: 81)

إن مصطلح "مراهقة" باللغة الأجنبية "Adolescence" مشتق من الكلمة اللاتينية "Adolescentia" التي تشتق من كلمة "Adolescens" من الفعل اللاتيني "Adolescere" والتي

تترجم إلى اللغة الفرنسية "Grandir" أي بمعنى "كبر" وبذلك فإن كلمة المراهقة تشمل المرحلة التي تتصف بالنمو والتطور (Larousse, 1991: 09).

اصطلاحاً: هي مصطلح وصفي للفترة التي يكون فيها الفرد غير ناضج انفعالياً وذا خبرة محدودة ويقترّب من نهاية نموه البدني والعقلي (ديدي، 1995: 28)

فالمراهقة هي مرحلة الابتعاد عن الطفولة والاقتراب من الرشد والرجولة (ثروت، 1993: 11) تعني الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة ومن ثم فهي مسافة زمنية فاصلة بين عهدين أو فترتين 12 سنة و 17 سنة. وهي الفترة التي تحدث فيها تغيرات نفسية وجسدية واجتماعية والتي تكون ما بين نهاية الطفولة المتأخرة أي ما بين 12 و 13 سنة وبداية الرشد، أي ما بين سن 18 و 19 سنة (Berth, 1997:119)، فهي فترة من فترات الحياة التي يمر بها الفرد تبدأ مع نهاية مرحلة الطفولة وتبرز فيها جملة من التغيرات التي تشمل الجوانب النفسية والجسدية (Pierre, 1995: 05).

وبعد كل هذه التعريفات فإننا نرى أن المراهقة هي أهم وأنشط المراحل النمائية والتطورية للفرد، وهو ما يعكس اهتمام علماء النفس والباحثين في مختلف التخصصات في الخوض في غمارها وكل ما يرتبط بها ويحدث فيها.

6أهم النظريات المفسرة لتشكل الهوية عند المراهق:

1.6 تشكل الهوية عند المنظّر "ERIK ERIKSON":

لقد قام المنظّر التحليلي المعاصر بتناول موضوع تشكل الهوية عند المراهق، حيث استنتج أن الفرد من خلال مراحل حياته يقوم بعدة مهام ليتمكن من إنجاز وظائفه بشكل صحيح وأهم هذه المهام هو تشكل الهوية التي تنشط في مرحلة المراهقة وتتواصل حتى مراحل لاحقة من حياة الفرد (Erikson, 1972:87). وتعتبر الرؤية الجديدة التي أبعدت النظرية التحليلية الكلاسيكية عن النظرة الضيقة المقررة بالاحتمية الجنسية كأساس للتطور،

حيث اعتبر القوى النفس-اجتماعية (les forces psychosociales) هي المسؤولة عن تطور النفس وذلك من خلال افتراضه لسير التطور لتأثير العوامل الاجتماعية في تشكيل الهوية. حيث يرى أن النمو الإنساني يمر عبر مراحل متسلسلة، فكل مرحلة أهدافها، اهتماماتها، وظائفها وأخطارها وأن هذه المراحل هي متكاملة فيما بينها، فنجاح الموائية لا يتم إلا بنجاح سابقتها ويؤكد أن لكل منها أزمة نمائية، فهي تمثل مرحلة أزمة وصراع بين بدائل إيجابية وأخرى غير صحيحة (سلبية) ولكن الطريقة والإستراتيجية التي يحاول بها المراهق حل هذا الصراع ليجتاز الأزمات تؤثر في رؤيته لنفسه والمحيطين به وإذا ما أخفق في التخلص من هذه الصراعات يمكن ذلك أن يترك له أثرا سلبيا في المراحل الموائية من حياته، كما يرى أيضا أن بناء الهوية وتشكيلها يتم من خلال سلسلة الأزمات التي يمر بها وكيفية التخلص منها، حيث ينتج عن ذلك إما نمو وتطور للشخصية أو العكس أي نكوص وتقهقر للشخصية، وكما سلف الذكر أن هذه العملية تمر عبر عدة مراحل حيث يقوم المراهق بتجريب هويات مختلفة في إطار البحث عن هوية خاصة به بغرض انتقاء الهوية المناسبة التي تساعد على مواصلة الحياة بشكل مستقر ومتوازن، فعملية الانتقاء تظهر من خلال التغيرات التي تطرأ على اهتمامات المراهق، ميوله، تفكيره، صداقاته، أنماط سلوكه، معايير، معتقداته ومثله العليا. (سلطان، 2009 : 48)

وعلى اعتبار أن الهوية مفهوما سيكولوجيا يتحدث "إريكسون" (Erikson) عن تكونها على أنها عملية تفكير وملاحظة وعملية حيوية على مختلف المستويات الوظيفية والعقلية التي بواسطتها يستطيع الفرد أن يقيم أو أن يحكم على نفسه على ضوء الكيفية التي يكتشف أن الآخرين يحكمون عليه من خلالها بالمقارنة معهم ومن خلال نمطية ذات دلالات في تصورهم، كما أنه في نفس الوقت يحكم على الطريقة التي حكموا عليه بها على ضوء كيفية إدراكه لنفسه بالمقارنة معهم ومع الأشخاص الذين يكتسبون أهمية في نظره.

ولفهم الكيفية التي تحدث بها عملية تشكيل الهوية، فإن "إريكسون" (Erikson) يرى أن المراهق يعيش صراعا وأزمة وضعها تحت تسمية مرحلة الهوية مقابل اضطراب الهوية وهي بدورها تتضمن أربعة صراعات أساسية لا بد من تجاوزها، فيتضمن الأول تحديد الهوية مقابل الشعور بالعيبية أي الإحساس بالقيمة مقابل عدم القيمة والثاني يتضمن توقع الأدوار مقابل كبحها أي محاولة البحث عن الدور مع اختيار المقبول منه والثالث يتمحور حول تأكيد الذات مقابل الشك في الذات أي الإيمان بقدراته وتحقيق ذاته مقابل الشك في تلك القدرات وبالتالي عدم القدرة على تحقيق الذات، أما الصراع الرابع يتضمن الحصول على الاعتراف المتبادل مقابل الشعور بالانعزال التوحدي.

هذه الصراعات تمر عبر مرحلتين يحاول المراهق في الأولى منها أن يجيب على التساؤل المتمثل في: من أنا ؟ (Qui suis-je?) حيث أنه يشعر بعدم الارتياح بسبب عدم قدرته على التنبؤ بالتغيرات الجسمية والجنسية وعدم التأكد من دوره الاجتماعي مما يجعله أكثر انشغالا بمن يكون فعلا وكيف يبدو في نظر الآخرين، ما يدفعه إلى تبني أسلوب محاكاة الأبطال والمشاهير والالتزام بالمعتقدات المثالية للثقافة التي ينتمي إليها وهذا ما نلاحظه على المراهق الجزائري حيث أصبح يحاكي مشاهير العالم من فنانين، لاعبي الكرة، مشاهير الإعلام وذلك من خلال إتباع أسلوبهم في اللباس ونفس تسريحة الشعر هذا من جهة ومن جهة أخرى يحاولون الالتزام بقواعد الثقافة التي ينتمون إليها وهناك من يتمسك بهذه المثل أملا في استمرار هذه العملية بسلام أثناء مروره بالتغيرات السريعة التي تحدث له في هذه المرحلة، كما أن هناك من المراهقين من يميل إلى تجنب التعبير عن التزاماته بشكل نهائي وحاسم ويمكن أن يلجأ إلى أسلوب النقد الساخر للتعبير عن عدم ثقته وخوفه فضلا عن حاجته إلى ترسخ معتقداته حول هذه المثل، وهذه الشريحة من المراهقين موجودة أيضا في الجزائر، حيث نجد بعضهم يبقى سلبيا فلا يقوم بدوره على أكمل وجه ودائما يحاول أن لا يكون عمله كاملا فيسبب بذلك إزعاجا لأسرته والمحيطين به.

فهذه المرحلة من تشكيل الهوية تتطلب من المراهق أن يمتلك القدرة على تجميع عدة هويات بغرض الوصول إلى هوية فريدة متكاملة ومتراصة ومتناسقة مما يجعله يمتلك إحساسا داخليا بالثقة والاستمرارية والتماثل مع الآخرين.

وبعد الانتهاء من المرحلة الأولى، ينتقل المراهق إلى المرحلة الثانية في تشكيل هويته، فسمّاها "إريكسون" (Erikson) بمرحلة "الالتزام العميق" حيث يحاول الإجابة على السؤال: ماذا سأكون؟ حيث يصبح المراهق أكثر قدرة على الالتزام نحو شيء أو شخص معين ويطور القوة الأخلاقية اللازمة لتحقيق هذا الالتزام وقد يصل الأمر إلى حد التضحية واللجوء إلى مستويات عليا، في هذه المرحلة يكون المراهق في مرحلة المراهقة المتأخرة وهي ما توازي المرحلة الجامعية إن كان في مرحلة التعليم أو مرحلة الإنتاج والعمل وحتى الخدمة الوطنية في الجزائر أي الالتزام والتضحية في سبيل الوطن وتحمل المسؤولية.

من خلال ما ورد ذكره فيما يخص تناول "إريكسون" (Erikson) لتشكيل الهوية عند المراهق، نرى بأن هذا الأخير أعطى هذه العملية طابعا يغلب عليه الصراع في سبيل الوصول إلى شاطئ النجاة، أي الحصول على هوية ثابتة تمكن المراهق من تخطي تلك المرحلة والوصول إلى مصاف الراشدين، فإذا استطاع المراهق أن يجيب على التساؤلات المطروحة في هذه المرحلة فيكون بذلك قد تمكن من حل الأزمات التي تواجهه فيها، ليشكل هوية خاصة به قادرا بذلك على أن يواصل مسيرة حياته.

2.6 تشكيل الهوية عند المنظر عند "DJEAMS MARCHIA":

استند "مارسيا" (Marchia) في نظريته على الأفكار التي جاء بها "إريكسون" (Erikson)، حيث وجد أن المراهق أثناء عملية تشكيله لهويته يمكن أن يحصل على مراتب وحالات للهوية، فحدد بذلك أربعة حالات للهوية عند المراهق:

- الهوية المحصلة: وذلك عندما يتخذ المراهق خيارات وقرارات واقعية أي تتماشى اختباره وقراراته مع الوضع والمحيط الذي ينتمي إليه وتتناسب أهدافه مع قدراته ويلاحظ ذلك من

خلال اختياره لتخصصات علمية في المراحل التعليمية ويظهر ذلك في المرحلة الثانوية والجامعية أو التوجه إلى مراكز التكوين وذلك استنادا على القدرات التي يمتلكها وتماشيا مع قواعد المجتمع الذي ينتمي إليه والثقافة التي يحملها، ما يساعده على تشكيل هويته.

- الهوية المكبلة: وذلك عندما يتخذ المراهق قيما وأهدافا خاصة بالآخرين أي تكون القيم والأهداف ليست نابعة من اختياره ورغباته وإنما تكون تلبية لرغبات المحيطين به بغية الحصول على الرضا والقبول من طرف الآخرين مما يجعله حبيس رغبات الآخر وليس الأنا وهذا ما نلاحظه على المراهقين الذين تمارس عليهم السلطة الأبوية والسيطرة على رغباتهم واختياراتهم، فتكون بذلك سلوكياتهم تكرارا لما يمليه عليهم الآباء أو المسؤولون على رعايتهم أو جماعة الأقران، فتأثير هذه الجماعة يكون واضحا كون المراهق يحاول جاهدا أن يكون مقبولا من طرف الجماعة التي ينتمي إليها ليشعر بالانتماء، ينتج عن ذلك عدم القدرة على تشكيل الهوية.

- الهوية الغامضة: وفي هذه الحالة لا يكون للمراهق خططا واضحة أي عدم وضوح خريطة أهداف ومبادئ أو بالأحرى لم يضع المراهق بعد نقاطا أساسية تجعله يعمل على تحقيقها، في هذه الحالة ينتج مراهقين يغلب عليهم طابع الشك في قدراتهم ما يجعلهم لا يضعون خططا لها معالم وأهدافا واضحة وبالتالي لا يستطيعون تشكيل هوية ثابتة.

- الهوية المؤجلة: أين يكون المراهق في حالة من النضال من أجل اتخاذ قرار لتحقيق هوية واضحة أي لا يزال في حالة بحث وتأكد اختيار هوية خاصة به، نجد هذه الحالة عند المراهقين الذين تغلب في تربيتهم جملة (أنت ما زلت صغيرا) (أنت لم تبلغ بعد لتستطيع أن تقرر)، ما يجعله في حالة تأجيل لعملية تشكيل الهوية لمراحل مواءمة.

3.6 تشكيل الهوية عند المنظر عند "BERZONSKY":

هو من أحدث المنظرين في تشكيل الهوية، حيث دمج بين ما هو معرفي واجتماعي في تشكيل الهوية، فيرى أن الهوية هي عبارة عن مخطط ذهني منظم يفسر الفرد من خلاله

خبراته وتجاربه الحياتية وبالتالي فالهوية تتألف من مدركات الذات بشقيها الشعوري واللاشعوري وخصائص الذات المدركة وخصائص الفرد الجسدية وقدراته المعرفية التي تندمج معا والتي تم تلقيها من العلاقات الحميمة أو مواقف العمل والنشاطات الاجتماعية، كما نظر أيضا للهوية على أنها مدخلات وليست مخرجات، فهي بالنسبة إليه عملية أكثر من كونها بناء، حيث تشكل عملية مستمرة من الإدخالات التي تتم بموجبها تقمص مرجعيات مختلفة.

كما قدم مفهوما جديدا يتمثل في "نمط الهوية" (Type de l'identité) وهذا الأخير يستند على الاستراتيجيات المعرفية والاجتماعية التي تميز بها الفرد في معالجة المعلومات ذات العلاقة بالذات والخبرة التي يعايشها الأفراد والتي تستخدم آليات الترميز والمعالجة والتنظيم وتعديل المعلومات لحل المشكلات واتخاذ القرارات.

إذا المراهق بالنسبة لـ "برزونسكي" (Berzonsky) يستخدم قدراته المعرفية في اختيار سبل وكيفيات تشكيل الهوية ومعالجة تلك المعلومات في إطار المجتمع الذي ينتمي إليه بكل خصائصه واختيار الأفكار التي تتلاءم مع أفكار المجتمع الذي يعيش في كنفه.

7. العوامل المؤثرة في تشكيل هوية المراهق:

إن عملية تشكيل الهوية تتواصل عبر مراحل الحياة ولكن الفترة التي تنشط فيها وتتحدد معظم معالمها هي مرحلة المراهقة، فالمراهق يكون في احتكاك دائم بالعوامل والظروف المحيطة وفيما يلي سنتطرق إلى أهم العوامل وأكثرها تأثيرا في تشكيل الهوية وتطورها :

1.7 عوامل ذاتية شخصية :

لخصائص الشخصية وأنواعها ومقوماتها دور في تشكيل الهوية، فلكل نوع منها استجابة معينة وتنتج شكلا معينا من الهوية، فالشخصية التي تتسم بالمرونة والانفتاح العقلي على القيم والمعتقدات تمكن المراهق من تطوير هوية ناضجة، في حين الشخصية التي

يفتقر صاحبها للثقة وتتسم بالشك وعدم القدرة على اتخاذ القرار يكون هوية مشتة وقد يصل إلى تأجيل تحقيقها أو توقيفها، أما الشخصيات التي لها القدرة على استخدام معايير عقلانية من بين البدائل المتوفرة فهم بذلك يستطيعون الوصول إلى تحقيق الهوية .

2.7 عوامل عائلية :

في هذه النقطة نخص بالذكر، العلاقات العائلية بما أنها أول محيط يحتك به المراهق قبل انتقاله إلى العالم الخارجي، فالعائلة هي التي تمنح للفرد العناية وتشعره بالأمان، فيستطيع بذلك الانتقال والتوجه للعالم الخارجي بكل ثقة واطمئنان وذلك ما يساعده على تطوير هويته، عكس المراهق الذي يعيش في عائلات تسودها المشاكل والصراعات وتفقر للتواصل الصحيح مما يجعل المراهق يعاني من تشتت في الهوية.

3.7 عوامل متعلقة بالمدرسة والمجتمع :

من بين أهم العوامل التي تؤثر على تشكيل هوية المراهق نجد المدرسة، حيث أنه يتعامل مع زملاء وأساتذة يساهمون في وضع نقاط تبنى عليها الهوية، حيث نذكر على سبيل المثال وليس الحصر ما يختص بطريقة التفكير، الاهتمامات، التخصصات العلمية، والعامل الثاني والأكثر تأثيراً هو المجتمع، فهو يشكل مجالا خصبا ونشاطا لما يحويه من مؤثرات في إطار تفاعل المراهق وتأثره بكل ما يدور فيه، حيث يقدم له تعزيزات وفرص لتحقيق الهوية (Archer & al., 1990:111).

4.7 عوامل متعلقة بنمط الرعاية الوالدية:

يتأثر تشكيل الهوية بشكل الرعاية الوالدية المقدمة للمراهقين لأنها تؤثر في قدرتهم على الكشف عن الخيارات المتنوعة في حياتهم، كالمجالات المهنية، الدينية والجنسية، وعلى هذا الأساس هناك أربعة أنماط للرعاية الوالدية:

- الرعاية الوالدية المهمة: في هذا النوع يتميز الوالدين بحالة من الاستقالة من الدور المنوط بهما وفي هذه الحالة يكون المراهق مهملاً فهو لا يجد أية مساعدة أو أي توجيه من الوالدين لكي يستطيع أن يختار سبلاً لتشكيل هويته.

- الرعاية الوالدية المتساهلة: في هذه الحالة يكون للوالدين استجابة دائمة وتلبية فورية لكل مطالبهم مقابل عدم طلب المقابل منهم، فهم بذلك يقدمون لهم الكثير من الحرية في اختيار كل شيء أي الحرية في اختيار المبادئ والاستراتيجيات التي يرغبون فيها لتشكيل هوياتهم.

- الرعاية الوالدية المتسلطة: في هذه الحالة يستعمل الآباء الأساليب العقابية والانضباط الشديد وعدم استخدام أسلوب التواصل مما يؤدي إلى انغلاق الهوية، ففي هذه الحالة المراهق يجد نفسه مجبراً على القيام ببعض الأمور والواجبات مما يشعره بالضغط.

- الرعاية الوالدية الرسمية الحازمة: حيث يعتبر هذا النوع الأكثر استقراراً في إنتاج هوية سليمة للمراهقين لأن الوالدين يدركان أن الحقوق بينهم وبين أبنائهم هي تبادلية، حيث يعتبر هذا النوع الأكثر نجاحاً وفاعلية لأنه يساعد المراهق في تطوير روح الاستقلالية لديه وذلك نتيجة نجاح عملية التواصل بين الوالدين وأبنائهم (ابو جادو، 2011: 455).

وبعد تناولنا للإستراتيجيات الأربعة المتبعة من طرف الأولياء في رعايتهم لأبنائهم وبالتالي دورهم في تشكيل هوياتهم وهذا ما يدل على أن المراهق في المجتمع الجزائري يتأثر هو أيضاً بهذه الإستراتيجيات لأنها ليست خاصة بمجتمع دون آخر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نلاحظ أن استحداث التغيرات في البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تؤدي إلى تغيير بعض أنماط تنشئة المراهق من الخضوع والتبعية إلى استحداث مفاهيم حضارية وجديدة دخيلة على المجتمع.

5.7 عوامل متعلقة بالجنس:

قدم "إريكسون" (Erikson) " وجهة نظر حول تشكيل الهوية والفروق الفردية الموجودة بين الجنسين في هذه العملية، حيث لاحظ أن اتجاهات المراهقين الذكور تتوجه بشكل رئيسي نحو الالتزامات المهنية، بينما تتوجه المراهقات نحو الزواج وإنجاب الأطفال. وقد تطرق إلى هذه العملية بشيء من التفصيل عند كلا الجنسين وذلك بالاستناد على مبدأ أن كل جنس يشكل هويته بطريقة مختلفة ويظهر ذلك من خلال ما أوردته عن الفروق الموجودة بين الذكور والإناث في تشكيلهم لهوياتهم، حيث يرى أن المراهقين الذكور يهتمون بالعلاقات الحميمة عكس الفتيات، حيث أنهن يولين أهمية وأولوية للروابط الانفعالية والعلاقات، كما أن الرغبة في الاستقلالية وإنجاز المهام يأخذ أهمية كبيرة عند الذكور بينما تبقى الفتيات ترغبن في التبعية طلبا للحماية والأمان.

و لكن لم تستمر هذه النظرة بسبب التطور والتغير الذي مس المجتمعات الحالية والمجتمع الجزائري هو جزء من الكل، حيث تغيرت الفكرة القائلة بوجود فروق في تشكيل الهوية لدى الجنسين، فمنذ الثمانينات أولى الباحثون اهتماما أكبر بالدراسات التي تبحث في مدى وجود تشابه بين الجنسين في تشكيل الهوية وعليه أسفرت أغلب النتائج إلى وجود تشابه وتزامن في الاختبارات المهنية، المعتقدات الدينية والتوجهات السياسية وهذا ما نجده مطابقا لما هو موجود في المجتمع الجزائري حيث أصبح هناك تشابه بين الجنسين في اختبار التخصصات الدراسية (التقني، هندسة ميكانيكية، هندسة مدنية، هندسة كهربائية) وحتى في الالتحاق بمدارس أشبال الأمة أي التجنيد الذي كان حكرا على الذكور والالتحاق بمدارس الشرطة ومدارس الجمارك... وأيضاً أثبتت الدراسات التشابه الموجود في التوجهات السياسية، حيث نجد أيضاً أن هناك تشابه في هذا البعد بين الجنسين في المجتمع الجزائري، حيث أصبحت ذوات الجنس اللطيف يتوجهن للسياسة لتمثيل أفراد المجتمع وتظهر بوادر ذلك من خلال انضمامهن للتكتلات الطلابية وتمثيل الطلبة وترأس الجمعيات فيما كان ذلك

مقتصرا على شريحة الذكور. بالإضافة إلى الدراسات التي أكدت وجود معاملات ارتباط الشخصية بالمتغيرات المختلفة ذات العلاقة بالهوية (السلطة، القلق، تشكيل المفاهيم) (ابو جادو، 2011: 451).

أما (Cole & al , 1993) فيروا أن هناك أربعة نقاط أساسية يجب أخذها بعين الاعتبار لتعزيز قدرة المراهقين في تشكيل هويتهم :

- احترام الفروق الفردية الموجودة بين المراهقين ونفطن الأولياء والمعلمين والمحيطين بهم في ذلك.

- وضع قائمة قواعد سلوكية متفق عليها بين الوالدين والمراهقين وتحديد المخالفات الناجمة عن ذلك.

- الحرص على تطبيق القواعد السلوكية المتفق عليها دون أي تساهل مهما تغير الزمان والمكان لكيلا تختلط الأمور على المراهق.

- يجب ترك الحرية للمراهقين في التعبير عن ذواتهم واختياراتهم وأخذها بعين الاعتبار مما يجعلهم يحسون بفردانيتهم ودورهم في تشكيل هويتهم.

8. الأزمات التي تواجه المراهق في بحثه عن هويته:

إن عملية اكتساب الهوية وتشكيلها لا يتم على دفعة واحدة، فهي تنمو وتتغير وبالتالي تصادف العديد من الأزمات والمشاكل في سبيل تحقيقها، حيث تتعرض في إطار عملية الاكتساب للتشويه والانشطار من خلال التأثير بعدة عوامل اجتماعية، تربوية وثقافية وهذه العوامل تكون إما ذاتية أو محيطية بفعل ما هو سائد حاليا من تغير اجتماعي وعدم استقرار في العلاقات بين الجماعات التي يطغى عليها الصراع والسيطرة بسبب التصنيفات الاجتماعية النمطية التي تؤثر بطريقة مباشرة في إحساس الفرد بالانتماء وهذا ما يشعره بالاغتراب.

وبما أن أكثر فترة تنشط فيها عملية تشكيل الهوية هي مرحلة المراهقة وهذه الأخيرة وبكل ما تحمله من خصائص ومعطيات فهي تمثل أخطر منعطف يمر به الفرد إذا لم يلقى التوجيه والعناية من طرف المحيطين وخاصة الأسرة بالدرجة الأولى، حيث نجد أن أبرز المخاطر التي يعيشها المراهق هي فقدان لهويته وانتمائه وعدم تحديد الهدف وتناقض القيم فضلا عن مشكلة الفراغ التي يعيشها.

وانطلاقا مما ذكر سالفنا بأن المراهق في إطار تشكيل لهويته يحتاج مساعدة ومساندة من طرف كل أفراد المجتمع وتضافر جميع الجهود لتمكينه من تحقيق هويته الإيجابية، وإلا فإن ذلك سيؤدي إلى الفشل في حل أزمة الهوية وإلى صراعات مؤلمة واضطراب الهوية للمراهق واضطراب الدور، كما يؤدي هذا الفشل إلى الإحساس المتدني بالذات وعدم القدرة على تبني أدوار ثابتة ذات معنى أو قيمة شخصية واجتماعية وهنا تبني الهوية السالبة والمرتبطة بدرجة أعلى من الإحساس بالتفكك الداخلي (الذي لا يقتصر تأثيره على عدم القدرة على تحديد أهداف ثابتة أو تحقيق الرضا عن أدواره الاجتماعية ، بل ويؤدي دورا أكثر سلبية في الحياة عموماً ، كممارسة أدوار غير مقبولة اجتماعيا مثل الجنوح أو تعاطي المخدرات (عبد الرحمن، 1998 : 177).

9. دور المجتمع في تشكيل وتحديد هوية المراهق الجزائري في ظل التحولات الثقافية والاجتماعية:

إن المراهق الجزائري يعيش في مجتمع ليس بمعزل عن العالم والعولمة، فهذه الأخيرة أثرت على كل الشعوب تأثيرات تختلف بين الإيجابية والسلبية، فالمجتمع الجزائري لم يعد ذلك المجتمع المنغلق والمحافظ على كل القواعد والقيم، بحيث أصبح منفتحا على ثقافات أخرى وبالتالي أصبحت له مبادئ جديدة وقيم مستجدة والتي هي بطريقة أو بأخرى ستؤثر في عملية تشكيل هويته.

وعليه فإن لمراهق الجزائري لا يختلف عن جموع مراهقي العالم، إذ أنه في إطار تشكيل لهوية خاصة به تساعده على مواصلة العيش بطريقة سليمة، فنجد من المراحل الأولى للمراهقة يبدأ في محاولة الإجابة عن السؤال الأزلي: من أنا؟ وماذا أريد؟ فيحاول أن يعطي لنفسه تعريفا خاصا به ومكانة في الجماعة التي ينتمي إليها ويسطر أهدافا من خلال التخصصات التي يختص في دراستها بداية من الطور الثانوي فهو بذلك يضع لنفسه توجهها علميا خاصا يتماشى مع رغباته وقدراته.

فالمراهق الجزائري يعيش في مجتمع غني بالعادات والتقاليد نظرا لشساعة مساحته وتعدد المصادر الثقافية وبالتالي تعدد مصادر تشكيل الهوية باعتبار أن المجتمع الجزائري يحمل في ثناياه عدة أدوات التي تساهم في تشكيل هويته، فبدءا بالأسرة التي تمثل أول لبنة في بناء الهوية ثم المدرسة، الشارع، المسجد والوسائل الإعلامية، ولما نذكر هذه الأخيرة نضيف إلى ذلك التطور التكنولوجي والانفتاح الواسع على الثقافات الأخرى بسبب سهولة الوصول إلى المعلومة، فهذه كلها مؤشرات تساهم بطريقة أو بأخرى في تشكيل هوية المراهق الجزائري هذا من جهة.

أضف إلى ذلك التاريخ الاستعماري لهذا البلد وموقعه الجغرافي والتعدد الثقافي هذه كلها نقاط تدل على الحركية النشطة التي تحدث داخله والديناميكية في عملية تشكيل الهوية وبما أن المراهق هو جزء لا يتجزأ من الجمهور العام الذي يعيش داخل هذه الوضعية، فهو بذلك يتأثر بسبب تفاعله الدائم مع هذه المؤشرات والعوامل والحياة الاجتماعية تفرز عدة ظواهر مرتبطة بحياة الفرد وعلاقته بمجتمعه كالقيم، العادات والتقاليد، اللغة، الدين، المواطنة... هذه الأخيرة هي حقل اشتغال الهوية أي توحد المراهق مع ثقافة وطنه وانتماؤه الحقيقي له، فإن مفهومها غالبا ما يفترض وجود اختلاف مبدئي مع هويات أخرى من ثقافات أخرى دخيلة وهذا يعبر عنه من خلال عملية التثاقف والتي تتمثل في تبادل تأثير الثقافة أو الفعل الثقافي بين طرفين على الأقل والتمكن من العلوم والفنون والآداب بالنسبة

للأفراد والجماعات لا يمكن حدوثه إلا من خلال التفاعل مع الآخر ومن خلال عملية التواصل التي تكسب الفرد جملة واسعة من المعارف والمهارات التي تجعله أكثر فطنة وفهما للأشياء المحيطة به (Long, 2001 : 102)، هذه العملية في مفهومها تشير إلى التلاحق الثقافي "Acculturation" أي اقتباس بعض السمات الثقافية أو الأنماط الاجتماعية من ثقافة أخرى وعادة ما يحدث هذا بعد التقاء بين ثقافات مختلفة، مما يخلق آثارا على مستوى الجماعات، فغالبا ما يؤدي إلى تغيير يمس العادات والأفكار والثقافة...

أما على مستوى الفرد فيظهر الاختلاف في سلوكاته اليومية ويمس الجوانب النفسية والجسدية بشكل عام فالمجتمع الجزائري يحوي عدة أدوات تساهم في عملية تشكيل الهوية ولكن مع الانفتاح الثقافي للمجتمع أدى إلى ظهور وضعيات اجتماعية جديدة أصبح شغلها المراهق، فهو لم يعد ذلك الفرد الذي كان مسؤولا في السنوات الأولى لمرحلة المراهقة أي لم يكن هناك نسبة كبيرة من المراهقين الذين يزاولون الدراسة نظرا لبعد المؤسسات التعليمية وصعوبات التنقل إليها ، فالمراهق كان يوجه مباشرة للعمل أي مساعدة الأب في النشاط الذي يمارسه وقد تمثل بالدرجة الأولى في الفلاحة ولكن مع التطور الذي مس المجتمع الجزائري، فإنه تحول من مجتمع فلاح إلى مجتمع صناعي أو خدماتي وبالتالي هذا ما جعل المراهق لا يتقلد أية مسؤوليات، ليتضح أن المراهق الجزائري أصبح يعيش في ظل التحولات التي مست كل الدول، إذ يعيش في حالة من الاحتكاك الدائم بعدة عوامل تؤثر في تشكيل هويته وهذه العوامل ساهمت في إنتاج هويات مختلفة ودخيلة على المجتمع الجزائري.

10. خاتمة:

إن مرحلة المراهقة تستهدف شعوريا ولا شعوريا البحث عن الهوية، والهوية تعد موضوعا مهما في حد ذاته نظرا لانعكاسه على توافق الفرد ونموه، حيث يبدأ في مرحلة المراهقة بالبحث عن هويته وتحديدها وتعزيزها.

فالهوية الشخصية تتطلب اهتماما كبيرا في المجتمعات البشرية لأن الفرد يحتاج لفهم هويته الذاتية من أجل الاندماج السليم في المجتمع من خلال توافقه مع ذاته ومع الآخرين، حيث يرى المُنظّر المعاصر "إريكسون" أن المراهقة والرشد المبكر هما امتداد في الزمن حينما يتعرض الإحساس المتنامي بالهوية الشخصية لمقاومة الشكوك بشأن الأدوار الجنسية والاجتماعية في الحياة وفيها تتناوب القدرة على تكوين علاقات حميمة مع مشاعر الانعزال وفي هذه الحقبة كذلك يبدو المستقبل كله معتمدا على الاختيار الصحيح للعمل ولتحقيق الاستقلال فان المراهقين يضطرون للتمرد على مقاييس ومعتقدات والديهم لبناء هوياتهم المنفصلة (سلطان، 2009: 20).

ففي بداية مرحلة المراهقة يتضح وينشط احتكاك المراهق بالعالم الخارجي، أي المجتمع الذي ينتمي إليه والعالمية ككل نظرا للعولمة والانتشار المعلوماتي وسهولة الوصول إليه، مما يزيد من رغبة المراهق في بلوغ مستويات الكبار وتكوين هوية خاصة به. إن العلاقة الموجودة بين العنصر والمجموعة وبين الجزء والكل هي علاقة مصيرية وهو الحال بالنسبة للمراهق الذي يجد نفسه في حالة تفاعل دائم مع المجتمع الذي ينتمي إليه سواء في جوانبه الإيجابية أو السلبية. فالهوية تعد عملية حيوية تعبر عن تفاعل بين الفرد وغيره، بين الأنا والآخر.. وهي عملية تعتمد على تمثلات ذهنية يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع الآخرين بحيث تساعده على التكيف مع ذاته ومع الآخر من خلال نسق تمثلاتي للأحكام التي يمكن أن يصدرها هو عن نفسه أو يصدرها الآخرون عنه وعليه إن عملية تشكيل الهوية تجعل المراهق في حركية ودينامية دائمة مع المجتمع الذي ينتمي إليه، مع ما يمتلكه من قدرات، اهتمامات، اتجاهات وأهداف وما يمتلكه المجتمع من مقومات، اعتقادات، عادات وموقعه الجغرافي وما توصل إليه من تفتح تكنولوجي، مما يسهل احتكاكه بالعالم من حوله، ما يجعل عملية التلاقح الثقافي سهلة وبدرجات متفاوتة التأثير وهذا ما يلاحظ على

شريحة المراهقين من خلال طريقة اللباس ونوعيته وتسريحة الشعر وطريقة الحديث وتغير منحى الاهتمامات وغيرها من مجالات التثاقف.

11. التوصيات والمقترحات:

في ضوء ما سبق عرضه في البحث الحالي نوصي بضرورة اهتمام بالفضاء الذي يعيش فيه المراهق سواء الأسرة أو المدرسة على اعتبار المراهقة مرحلة يعيش فيها المراهق العديد من التغيرات العقلية والجسمية والاجتماعية المتسارعة ، مع ضرورة التشديد على أهمية ضبط المتغيرات المرتبطة بالتحويلات والتطورات التكنولوجية التي أصبح تأثيرها أكبر على هذه الفئة.

الإكثار من البرامج الإرشادية التي توضح أهمية وخطورة الثقافات المختلفة التي تصدرها المجتمعات الأجنبية الأخرى.

السعي إلى مساعدة الشباب المراهق داخل المدارس والنوادي وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية على تنمية هويتهم وفق البيئة المحيطة بهم والمدرسة وفق المراحل العمرية المختلفة ومدى تأثير الثقافات الدخيلة على الفرد بشكل عام.

كما نقترح إجراء دراسة عن اضطراب الهوية المرتبط بأساليب المعاملة الوالدية.

12. قائمة المراجع:

أولاً: باللغة العربية:

- ابن منظور (2003)، لسان العرب: دار صادر للنشر .
ابو جادو، صالح محمد (2011)، علم النفس التطوري : الطفولة والمراهقة، عمان: دار المسيرة للنشر .
الموسوعة الفلسفية العربية. (1986). المجموعة الاولى : الاصطلاحات والمفاهيم. بيروت: معهد الإنماء العربي.
ثروت، عبد الخالق (1993)، سيكولوجية المراهقة للمربين، مصر: دار النهضة العربية.
ديدي، عبد الغني (1995)، المراهقة والتحليل النفسي: ظواهر المراهقة مشاكلها وخفاياها: دار الفكر اللبناني.
سلطان محمود، ابتسام. (2009). التطور الخلقي للمراهقين. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
فريدريك، معتوق. (1998). معجم العلوم الاجتماعية مراجعة محمد دبس. بيروت: اكاديميا.
محمد السيد عبد الرحمن (1998) : مقياس موضوعي لرتب الهوية الأيدولوجية والاجتماعية في مرحلتى المراهقة والرشد المبكر . مجلة دراسات ، مجلد 21، عدد9:1-13.

ثانيا: باللغة الاجنبية:

- ARCHER and WATARMAN (1990), Varieties of identity diffusions and foreclosures.
BERTH, R . (1997). Le développement social de l'enfant et de l'adolescent. (13 édition), Paris.
BROMI, A. (2000), L'acculturation: étude d'un concept, DESS, no 121, Paris.
ERIKSON, E., (1972), Adolescent et crise la quête de l'identité. Edition FLAMARION.
Grand Dictionnaire de Psychologie LAROUSSE, (1991), Paris.
Gaston, Lanneau (1979) , L'identité sociale, l'information et le changement, Université de Toulouse Le Mirail L.A.- CNRS- 259. in Identités collectives et travail social Sous la direction de Jacques Beauchard, Privat ISBN 2-7089-7408-4.
LONG, S. (2001), Differences in male and female identity development.
MARCIA, Ge., (1970), Identity status in late adolescence, scoring criteria, SIMON FRASTER University Press.
PIERRE, G. (1995). les adolescent et devant les déviances. (13 édition). L'HARMATTAN, Paris.
ZAVALLONI, M., et LOUIS GUERIN, Ch., (1984), Identité sociale et conscience , EPRIMAL les Press Universitaire de Montereal.